الباب الخامس عشر

غفلة الطريق

المقال الأول
رسالة حب

لمن علمتنى كيف يكون الحب، لمن زرعت فى قلبى نورا لا ينطفئ، لمن أضافت إلى قلبى قوة عدم الاستسلام، لمن نزعت عنى الكآبة فى زمن ظهر فيه حديث الشقاق وليس حديث الوفاق، إن من أصعب ما يكون فى هذا العالم الجميل الذى يشوهه لسان طائل ومبرد استحر من طرف لسان البشر، أمسكوا السنة حداد تؤذى قلوب الآخرين، ازرعوا وردة الوفاق لا بذر الشقاق، ابعدوا عنكم النفاق، إن الأيام القادمة تحمل الكثير من المتاعب، وما أحوجنا لمن يرفق لسانه فى أوراق الورد ويعطره بالعود فيطلق صيحات الحب لمن يحدثه، إنها الرحمة فى المعاملات، فإن الدنيا لن تبقى للحظة، ولنتذكر قول الله تعالى **(مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُورُ) (فاطر:١٠)**.

اللسان وما أدراك من سقطاته التى تدمى وتجرح الآخرين فإن الكلمة طلقة لا ترد تصيب ما تصيب وتعبث فى قلوب الآخرين فتحمل فى طياتها ألما ونسينا أن كل قول قول ولفظة محسوبة علينا، فقال تعالى **مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (ق – ١٨)**، إن ما أراه فى المعاملات بين كثير من البشر إن دل لا يدل إلا على ضعف فى العقيدة والثوابت الراسخة، ونسى بل تناسى الأغلبية من البشر إلا من رحم قول الله تعالى **(كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (الأنبياء – ٣٥)**

وحيث أن العيد على الأبواب فأننى أدعو أحبتى وأصدقائى عفوا، فيما بدر منا وبيننا جميعا **(كل ابن آدم خطاء، وخير الخطاءين التوّابون)**. إنها فرصة لنا

جميعا إلى تطهير قلوبنا من لسان يستحر قولة، وأن نقضم شفاهنا حين تنطق بغير خير أو حب، فليكن المودة والرحمة بيننا عنوانا، وعلينا بهدم البغضاء وقضم العداوات، فما أجمل اللسان حين ينطق جميلا، وينبذ قولا كريها وقلبا مفعم بالحب

بالحب يبنى الناس ملكهم لا يبن ملك على حقد وأضغان

فلنتعلم كيف يكون الحب بيننا ولا نعرض أنفسنا إلى خصام الآخرة **ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ (٣١ – الزمر)**، وليكن ما قرأناه فى رمضان من قرآن كريم هو طريقنا للتطبيق فما فائدة ما قرأنا دون التطبيق، فليس القرآن لسانا نحرك، وقلبا لا يدرك، وعقلا لا يستدرك، فإن ضعف القلوب من باب عدم التطبيق والاستعانة بما قرأناه فى رمضان، فرمضان ليست أياما تمضى وسرعان ما نعود كما جئنا، فعلينا التمسك بما قرأنا وتعلمنا.

المقال الثانى
كلمات على جسد الإنسان

صناديق الاستعانة الثلاثة:

نعم انه الإنسان الذى وجد نفسه فى لحظة أو تصور هكذا انه يمشى ويأكل ويتحرك ويرى، وينعم، يضحك ويبكى، ولم يقف أمام كل الشواهد ليسأل من أين لى بهذا، وما هذا داخل نفسه، إن الجسد البشرى سجن كبير لطاقه نورانية بداخلنا أو طاقة شيطانية، **مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ** دقق فى كل ما يجرى حولك من شواهد، لتعرف طريق الله،

إن الأمور لا تسرى اعتباطا ولا بعشوائية، إنها تسير إلى ما لا ندرك، وليس كل ما ندرك، بالغاية يدرك، فكم من التمنى بداخلنا نرغبه، وتفلت من بين أيدينا الأمانى، ولم نجرب لحظة واحدة، قانون الاستعانة، فقانون الاستعانة لدينا يمر بمراحل ثلاثة، المرحلة الأولى هى مرحلة الصندوق الرحمى ونحن داخل بطون أمهاتنا «**خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ**» (٦)، سورة الزمر، إن هذا الصندوق الأول هو صندوق الاستعانة، فالطفل استعانته النسبية لأمه، واستعانة الأم والطفل معا هى الاستعانة المطلقة بالله، فتأمل هذا الصندوق ولو للحظات، وأما الصندوق الثانى وهو صندوق الحياة، الممتلئ بما فيه الصندوق الذى نعش بداخلة فترة من الزمن وهو ما يطلق عليه صندوق العيش الزائل، ومحصلة صندوق العيش الزائل فى الدنيا هى ما تم تحصيله منها، «**وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**» (٤٩) الكهف.

والصندوق الثالث هو صندوق الفرز، الذى به تعلن النتيجة، «**وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا**» (٤٨) الكهف

ففى كل الصناديق الثلاثة يتطلب منا الاستعانة، فصندوق الاستعانة الأولى هو صندوق استعانة مطلقة لا حول لنا فيها ولا قوة، والصندوق الثانى هو صندوق الاستعانة بالله فى (**إياك نعبد وإياك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم**). أما الصندوق الثالث فى الاستعانة هو صندوق الآخرة، وبالآخرة هم يوقنون، إن من ينظر حوله يجد أن من يريد أن يفوز بالصندوق الثالث ويجمع كثيرا من النقاط تجدها فى «**قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا**» (النساء :٧٧)، فثبات اليقين من ثبات عقيدة الإيمان، وان تقلبات الدنيا لم تأت إلا حين تزين مباهج الحياة فننسى يوم العودة، إن مسالة النسيان نراها من محفز النسيان وهو «**وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ**». (الكهف: ٦٣) إنه المحفز الذى يحرك دفة قلبك، لأنه يزين كل السبل وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ، نعم انه المخادع الأول، فنرى «**وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ**» (٣٨) العنكبوت، من هنا نراه يبعدنا عن السبيل والسبيل هو الصراط المستقيم وقانون الاستعانة فى الصندوق الثانى اهدنا الصراط المستقيم وهو يفعل معنا عكس ما يهدينا إلى الصراط المستقيم فلنتأمل.

إن التأمل فى كل ما يجرى حولنا، وان كثرة المشاهدات وفحصها لتضفى للعقل إضاءة كبرى ترشدنا إلى الطريق السليم، فالدنيا دار عمل وعبادة، والآخرة درجات العمل والعبادة فلنجتهد، وباب الاجتهاد مفتوح إلى أن نغادر، ومازالت الفرصة مفتوحة لدور ثانى.

المقال الثالث
ويبقى الحب ناقوسا

فى إطلالة العام الجديد وقفت أفكر، كيف تمر الأيام ولمن أقدم التحية والعرفان، العرفان للعطاء بلا حدود وأفكر حولى فيمن يستحق التحية والتقدير، فإلى سيدة الدنيا، إليك يا امرأة أعطت الكثير ولم نقدر حقها فى واقع حقيقي، إنها المرأة التى تستحق منى كل تقدير واحترام، كل الصفات الحلوة امرأة تئن ولا تتكلم تترك لنا السعادة وهى لا تحلم بغير طيب عيش يتكلم هى خير الدنيا ومنها نتعلم، يا أجمل ما خلق ربى يا ليت غباء الرجال يُمْحى ولا يتكلم، وسوف نعلم أن طيب العيش امرأة لا تتكلم، هى من يزيل آلام عمر، كم سهرت؟ كم تعبت؟ يا ليت الغير يتعلم؟ الدنيا خلقت للمرأة وليست للرجل، فهى الأم، و الابنة، والأخت، والزوجة والحبيبة فهل اكتملت الحياة ببهجة منقوصة من وجود امرأة، سؤال للرجال كى يعقلون؟

لا ننكر فضل الله علينا بحواء و بها لنا انعم، ونحن بها ننعم، وعاء الصبر هى ، فكيف إذن ، منها نتعلم؟ وكيف نتكلم؟ هى الدنيا يا سيدتى من غيرك نُعْدَم.. فهذا حقك فى عامك الجديد.

من أين جئنا، نعم من رحم امرأة كم كانت تتألم؟ ومن الأوجاع مطلقا لم تتكلم، فكيف بالله لا ننصف من بساعديها عَلَوْنَا السُلَّم، تحية احترام وحب وتقدير للمرأة بالعام الجديد

فمع العام الجديد ، يا سيدتى الفضل لله أن أوجدك لتعلمينى، ومن جحد بفضلك كِبْراً ما على الأرض منه فليتنح من دور الرجال، فأنت أيتها المرأة الحب الخالص النقى و نبض بالقلب فى إيمان يتواتر بدقات قلبك من صوتك فى صغر تتناعى وتهدهدينى فانا طفلك فى صغرى وعشقك فى كبرى فعلام

يلومونى، فالحب امرأة فى صغر وفى كبيرى، فعودوا للنشأة والوحشة أيها الرجال، فيا نداء بالقلب كم عشت على هدهدة الصدور حين تغنينى هى الحب أغنية سيدة فوق الآلام.

إن الحب كنز كبير فى القلوب قناعة المرأة فى رجل يحب لها كل الخير ، صدقا يا سيدتى من ثبات العمر وجوانحه تحرك الساكن فى منامه فقد رأيت فيك الغضب طفلتى ورأيت فيك العناد عزيمة تقوينى ورأيت فيك لحظات الاحتياج فتمنيت ألا تفارقينى انا عاشق للبحر وأنت من قاعه فكيف لبحر واسع لا يحتوينى هو أنت بحر و أنا موج من رقصات قلبك وصوتك تحيينى فلا البخل فى طبعى ولا من طباعك غير الجود والكرم برهانان من أبعد هذا أنكر فضلك فى عيش صوتك رناته فزيدى.

فيا كل رجل رفقا بهن واعلم أنهن سبب سعادتك ووجودك، وتذكر انك مسئول عنهن، فقم واطبع مودة الحب على رأسها فى عامها الجديد، إن كانت أمك أو أختك أو رفيقتك أو ابنتك أو حبك الصادق، أو لن فقدت منهن فادعوا لهن بالرحمة، وإلا سيضيع من درر الحياة الكثير، وإياك والبخل فهو من سوء الخلق فى الرجال، إن المرأة تاج على الرؤوس لمن هو غافل عن هذه الحقيقة فهى السكن والطمأنينة وأنت لها الوقاية والحماية، فالدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة التى إذا نظرت إليها أسرتك وإذا أمرتها أطاعتك وإذا غبت عنها حفظتك فى مالك وعرضك وولدك.

وأنت يا امرأة الوجود انعمى برضاء النفس وتذكرى كيف أمر سيدنا إبراهيم عليه السلام ابنه إسماعيل عليه السلام أن يغير عتبة بابه مرة، وأن يثبت عتبة بابه مرة أخرى وأوصيك بوصية واجبة الفهم والإدراك كما جاء فى وصية الإعرابية فى وصاياها العشر فتقوى الله يا رجلا من امرأة تنفذ الوصايا العشر: حين قالت الإعرابية إى بنية انك فارقت بيتك الذى منه خرجت ومخدعك الذى فيه درجت إلى مخدع لم تعرفينه وقرين لم تألفينه، فكونى له أمه يكن لك عبدا واحفظى له خصالا عشرا:

الأولى : اصحبيه بالقناعة، والثانية : عاشريه بحسن السمع والطاعة فتملكيه، الثالثة : التفقد لموضع عينه وأنفه فلا تقع عينه منك على قبيح، و الرابعة : لا يشم منك الا أطيب ريح،الخامسة والسادسة : التفقد لوقت طعامه ومنامه، فإن تواتر الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة.

وأما السابعة والثامنة : فالاحتراس بماله والاهتمام بعياله، فملاك الأمر فى مال : حسن التقدير. وفى العيال : حسن التدبير....وأما التاسعة والعاشرة : فلا تعصين له أمرا « ولا تفشين له سرا، فانك إن خالفته أوغرت صدره، وإن فشيت سره لم تؤمنى غدره.. ثم إياك والفرح بين يديه، إذا كان مهتما، والكآبة بين يديه إذا كان فرحا، فإن الخصلة الأولى من التقصير، والثانية من التكدير...وكونى أشد الناس له إعظاما، يكن أشدهم لك إكراما، واعلمى أنك لاتصلين إلى ما تحبين حتى تؤثرين رضاه على رضاك وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت».

وأنت أيها الرجل يا من تقود، اعتقد أنه إذا ما طبقت أنت أيضا حديث الإعرابية عليك وبنفس الطريقة فسوف تنعم الدنيا برجل وامرأة مثاليين.

فبعد هذا الحديث الرائع للإعرابية، فهل يجد الرجال مدخلا غير احترام المرأة وتقديرها؟! فكم امرأة تفعل أكثر من ذلك ولا تجد شكرا أو كلمة تُطَبِبْ على جبينها. إنها حسن المعاشرة يا رجال فانتبهوا أيها السادة فى بواطن الأمور والسعادة.

المقال الرابع
حين يأتينا الموت

(كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ). (الأنبياء: ٣٥)، ما أعجب منا، وما أضعفنا، فرغم أن الموت بداخلنا، وحولنا، إلا أن الكثير أغمض العين عنه، واليوم وأمس وغدا يلحقنا، فما أسرعه، يأتى فنشعر بفراق الأحبة، نشعر بأشياء لا ندركها إلا حين يأتى الموت رفيق أو حبيب، وعندما تنتهى المراسم كأن الذكرى نسيت فى القبور، بالأمس كانت الدنيا نتحرك فيها، والآن توقف كل شيء، لنقابل ما لا نعلمه، ولم نفكر فى أى سلاح نحن نحمله هى الدنيا كأس بموت وكل الناس شارب، يقول الله تعالى:

«**كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ**». (القيامة: ٢٦-٣٠).

إننا قبل أن نولد فى منزل بظلمات ثلاث وتطأ أقدامنا الدنيا فنرى الضوء يغمر أعيننا، ونرى من الشواهد ما تضعف أبصارنا وقوانا، فهناك من يسعى وينسى فى سعيه والينا ترجعون، إن هذا النسيان ما هو إلا من الشيطان شيطان الإنس والجن، الذى زين لهم أعمالهم فصدهم عن السبيل، إن الإنسان يعيش فى ثلاث صناديق، صندوق الرحم، يتناول فيه كل ما يشتهى دون عناء، وصندوق الدنيا، جاء ليشقى ويتعب فى امتحان الدنيا حيث الآية «لنبلوكم»، والابتلاء بمعنى الاختبار والامتحان، منه الناجحون ومنه الراسبون، وأن أصعب ما فى الدنيا حرب الشيطان والنفس الأمارة والصحبة الفاسدة، أما الصندوق الثالث هو صندوق القبر ندخل فيه بأعمالنا، هل فكرت قبل أن تنام انك مغادر، قليل إلا من رحم، هل فكرت فيمن يحتاجك وتصده انه الذوق والأخلاق يا ساده، وكأنك تملك، فنحن لا نملك يا سادة، نحن أمناء على الخزائن والصناديق، فهناك من يجمع الرطب وهناك من يجمع العطب،

إن الأحلام والأمانى التى نعيشها، من حب وكره وتمنى، تتبخر فى لحظة الرحيل فهو قريب منا ولننظر إلى الآية الكريم الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور ، الموت خلق، بمعنى انه مخلوق فى داخلنا نعم، انظر إلى الآية لتعرف انه حين خلقنا خلق الموت داخلنا فتتلاشى خلايا الحياة فى أجسادنا يوما بعد يوم حتى تنتهى آخر خلية لتخرج منا الحياة معلنة لحظة الرحيل، نعم إن خلايا الموت المنتشرة داخل أعضائنا والتى لا نشعرها، ولا نحسها لأنها داخل الغلاف المغيب عن أعيننا، «**كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ**».

كم ممن نحب ولا يدركون، وكم من محب أهنا، وكم من مخلص باعدنا، وكم من حبيب آذينا، فتأتى الساعة، ولا نستطيع أن نقدم له ما كان يتمناه، إن الحب بين البشر مفتاح الكرم، قبل المغادرة، فلا الدنيا جمع مال ولا جاه ولد، ولا حسبا ونسبا ولا قوة نغتر بها أو خصاما، إننا فى حاجة إلى مراجعة مع النفس لكل من هم حولنا ليكن عنوانا لنا كرم التسامح والقناعة قبل أن يأتى يوم، «**وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ * يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**». (الشعراء : ٨٧-٨٩).

إن الإنسان يعتقد وهما انه يرسم حياته كما يريد فيدبر ويخطط، ولا يعلم أن التخطيط البشرى إن لم يكن على ثبات الصدق والنوايا الإيمانية وليس على الاستيلاء على الآخرين مالا أو مشاعر، فكل فى كتاب المدين والدائن فلنتعلم كتاب المحاسبة ولنعيد حساباتنا فيما بيننا لنعيد إلى القلوب المكسورة منا قهرا أو ظلما حقها، فكتاب الدين مفتوح فلنغلقه بالحب والغفران والقناعة، ونتذكر قول الله تعالى «**أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**». (الزخرف : ٣٢).

فلنُراجع أنفسنا و لا نحقر من عمل أى معروف أو طاعة.. فلعل شيئا بسيطا يكون سبب لدخولنا الجنة.

لا اله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين. رب إنى كلى ذنوب وأنت العفو الغفور، اللهم ارزقنى قبل الموت توبة، وعند الموت شهادة، وبعد الموت جنة، اللهم ارزقنى حسن الخاتمة.

المقال الخامس
طمعا فى الرحمة

ما أجمل أن تجعل قلبك وعقلك متذكرا وذاكرا، متذكرا فيما حولك ذاكرا أنعاما تحيط بك من كل جانب، إن الذاكرة المتحركة داخل العقول التى ترى عين الحقيقة لهى ذاكرة لا تنام ولا تغفل، عادت ذاكرتى إلى حيث ما كنت أقرض الشعر فى الجامعة وتحصلت على المركز الأول، وحين أصدرت ديوانى الأول عام ١٩٧٤ على نفقة الجامعة كان من القصائد ما يحمل فيها الكثير، ودوما، بل فى أغلب الأحيان، أتذكر قصيدة بعنوان «النهاية» ما زلت أتذكر أبياتها :

عشقت نور الهوى وأدركتنى المنايا
وأغمضت جفن الهوى فكبلتنى الخطايا
فيا ليت لعمرى باقية لأرد علىَّ من بقايا

نعم إنها قصيدة رغم مرور أكثر من أربعين عاما عن كتابتها، إلا أنها تطبع فى نفسى الكثير، واسأل نفسى ماذا حصدنا، ماذا فى كتبنا، ماذا عن أقلامنا، إن الكتب فى داخلها حروف المآسى، والمعاصى، والرجاء، حروف الطمع، حروف الحب، حروف كثيرة وكل حرف له معنى فى كلمات متراصة، ترص مع بعضها بكلمات ترى، إما بالعين وتلفظ باللسان، فلا عين حفظت إلا من رحمة الله، ولا لسان صمت إلا من رحم، فقليل من البشر يحفظ لسانا ويحفظ عينا، إن هذه الأبيات وما تحمله من معانى، حملتنى من الدنيا الكثير، فكلنا نحمل على ظهورنا خيرا، ممزوجا بأخطاء، ولم يكن هناك من يدل على صحة الطريق، فطريق الحياة عثرات وأخطاء وما من أحد يخلو من حياته ذلك، ولكن حين قرأت الآية ٥٣ من سورة الزمر، كم بعثت فى القلب الكثير، فهى آية الرحمة التى تعلو حياتنا والتى لا ندركها، **{قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}**.

فلنعش لحظات نرى فيها أنفسنا بعين أخرى، لا بعين الإدعاء، بل بعين الابتلاء، وعين الشقاء، حينئذ، تطل علينا الآية لتمحو كل الصور السوداوية التى نعيشها خيالا أو فعلا فمن منا لم يخطئ؟ تلاحقنى حين اكتب أو أفكر أو أخلو لنفسى، سورة الشورى الآية ٢٥{وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ}. نعم ما هذه الرحمة التى نحن نقابلها بما نفعل، فقلت ولم لا، فهو الله الرحمن الرحيم، فسبحانه رحمن بالدنيا للمؤمن والكافر، ورحيم بالآخرة، إن الله سبحانه لا يظلم مثقال ذرة، ويأت من لدنه أجرا عظيما، إن عتقاء الرحمن، يخرجهم الله من العذاب فى الآخرة فى نهر يطلق عليه ماء الحياة، فسبحانك يا الله، رحمن بالدنيا رحيم بالآخرة، سبحانك حين قلت فى كتابك {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}. (٥٤)

كم يجيش بالصدر، عتابا، وكم نتألم بأفعال مضت علينا، فقلت فى نفسى، إن الله ينادى فى كل ليلة هل من مستغفر، هل من تائب، كم مرة نحن نذنب، كم مرة ينقذنا الله من المهالك؟ إنها معانى تحرك القلب للشوق إلى الله، هل نتذكر قول رسول الله عليه الصلاة والسلام: «ما من يوم إلا والبحر يستأذن ربه أن يغرق ابن آدم، والملائكة تستأذنه أن تعاجله وتهلكه، والرب تعالى يقول : دعوا عبدى، فأنا أعلم به، إذ أنشأته من الأرض، إن كان عبدكم فشأنكم به، وإن كان عبدى فمنى وإلى، عبدى وعزتى وجلالى إن أتانى ليلا قبلته، وإن أتانى نهارا قبلته، وإن تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا، وإن تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا، وإن مشى إلى هرولت إليه، وإن استغفرنى غفرت له، وإن استقالنى أقلته، وإن تاب إلى تبت عليه، من أعظم منى جودا وكرما، وأنا الجواد الكريم؟ عبيدى يبيتون يبارزوننى بالعظائم، وأنا أكلؤهم فى مضاجعهم، وأحرسهم على فرشهم، من أقبل إلى تلقيته من بعيد، ومن ترك لأجلى أعطيته فوق المزيد، ومن تصرف بحولى وقوتى ألنت له الحديد، ومن أراد مرادى أردت ما يريد، أهل ذكرى أهل مجالستى، وأهل شكرى أهل زيادتى، وأهل طاعتى أهل كرامتى، وأهل معصيتى لا أقنطهم من رحمتى، إن تابوا إلىَّ فأنا حبيبهم، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصائب، لأطهرهم من المعايب». ما هذه الرحمة وما هذا الشوق؟! سبحانك الرحمن الرحيم نطمع فى رحمتك،

هل تخيلت حين تخلو بنفسك، وتفعل ما تفعل، وكم هو حب الله لعبادة، يغفر لهم، يا رحمة فاقت كل الوصف، فلنكن طامعين فى رحمته، طامعين فى غفرانه، كم سترنى ربى وكان يمكن أن يفضحنى على رؤوس الأشهاد، انظر إلى نفسك وقل كم سترك ربك! هل تخيلت لحظة حين تقف وحدك أمام الله دون ترجمان أو واسطة، حين يقول ربى: يا عبدى هل تتذكر يوم أن أغلقت الأبواب، وما فعلت خلف الأبواب، هل استحيت من خالقك، يوم أن كان ينظر إليك؟ هل تتذكر أن الله أكرمك بقول لا اله إلا الله، هل تذكرت ما أعطاه الله لك من نعم لا تعد وتحصى، فكيف واجهت نعم الله، هل تعلم أن الملك يهم فى كتابة المعصية وربك يقول له تمهل لعل عبدى يتوب، أى رحمة هذه، فلنطمع فيها، لا اله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين، فلتكن توبة الطامعين فى رحمتك، سبحانك يا ربى تُعاملنا بالرحمة، نطمع فى رحمتك وغفرانك **{كتب على نفسه الرحمة}**. (الأنعام: ٥٤).

الله سبحانه وتعالى هو الرحمن الرحيم وهو أرحم الراحمين الذى وسعت رحمته كل شيء، قال تعالى : **{ورحمتى وسعت كل شيء} الأعراف - ١٥٦** وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «إن لله مائة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام، فبها يتعاطفون، و بها يتراحمون، و بها تعطف الوحش على ولدها، وأخر الله تسعا وتسعين رحمة، يرحم بها عباده يوم القيامة».

ورحمته تعالى هى التى تدخل عباده المؤمنين الجنة يوم القيامة ولن يدخل أحد الجنة بعمله كما قال عليه الصلاة والسلام : «لن يُدخل أحداً عمله الجنة». قالوا : ولا أنت يا رسول الله؟ قال : «لا، ولا أنا، إلا أن يتغمدنى الله بفضل ورحمة، فسددوا وقاربوا، ولا يتمنين أحدكم الموت، : إما محسناً فلعله أن يزداد خيراً، وإما مسيئاً فلعله أن يستعتب».

لنا أن نتذكر، هذه القصة عن حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام، عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : (قال رجل لم يعمل خيرا قط : فإذا مات فحرقوه، واذروا نصفه فى البر، ونصفه فى البحر؛ فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين،

فأمر الله البحر فجمع ما فيه، وأمر البر فجمع ما فيه، ثم قال : لم فعلت؟ قال من خشيتك وأنت أعلم، فغفر له) متفق عليه.

فهذا الرجل لم يعمل فى حياته خيرا قط، لم يتصدق، لم يأمر بالمعروف، لم يستغفر، كان كتلة من الشر وأسرف على نفسه بالشر، «لم يعمل خيرا قط»، فلما حضره الموت قال لأولاده: أحرقونى، و اذروا نصفى فى البر والباقى فى البحر، فلما مات الرجل فعلوا به فأمر الله البر والبحر وجمع بين يدى الله فقال الله يا عبدى لم فعلت هذا، فقال خشيتك من عذابك، ومن خشيتك يارب فعلت ذلك، فغفر الله له،

سبحانك يا ربى سبحانك فى رحمتك بكلمة واحدة غفر الله له «خشيتك يا ربى» ، «من خشيتك»، فعلى قدر الرجاء فى قلبك يكون غفران الذنب، فلنتخيل معا إذا كان للذنوب رائحة تفوح منا على قدر معاصينا؟ فلنتخيل إذا كان على جباهنا تكتب المعصية؟ فلنتخيل أن تكتب على أبواب بيوتنا المعصية؟ فلنتخيل إذا علم الناس بما ستره الله علينا؟ فسبحانك ربى، فنعم الحمد لله على نعمة الستر، اللهم لا تنزع عنا سترك، واسترنا فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض عليك، إن ستر العيوب والذنوب والخطايا نعمة من نعم الله على عباده إنها رحمة من الله، إن بدت عيوب الخلق فضحت، فالله لا يفضح عباده بل يريد أن يتوب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم، فإن تابوا وأنابوا عفَا عنهم وصفح، فغَفرَ سيئاتهم وتجاوز عن هفواتِهم. وصاحبُ الحياء من الله ومن الناس يعلمُ رحمةَ الله الواسعة فى إخفاءِ الذنوبِ وسَترِ العيوب، ويقدرها حقَّ قَدرِها.

إن قلوبنا تتحرك، تشعر بالحب، تتأسى على الفراق من الحبيب للمحبوب، فهل قلوبنا تعلقت بحب الله، تعلقت بشوق لقائه، هل جربنا كيف نحب الله، هل جربنا أن نشكر الله على نعمه، لا أن نقابل نعمه بالجحود، فأى صنف نحن؟ نقابل النعم بالنكران والله يرحمنا ويقابلنا بالغفران، فسبحانك ربى، كم تشتاق النفس إلى حب الله، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلاَلِي؟ الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلِّي**».

اللهم إنى أستغفرك لكل ذنب خطوت إليه برجلى أو مددت إليه يدى أو تأملته ببصرى أو أصغيت إليه بأذنى أو نطق به لسانى.

المقال السادس
ماذا يدور حولى ـ أين بوابات الأمل ؟

هل ما تعلمنا يزيد بداخلنا الحسرة؟ نعم إن الحسرة لمن لا يقرأ أو يتبع منهج الحق، والبوابات كثيرة، فلماذا أخطأنا الباب، وأخطأنا اختيار المفتاح؟ إن باب الأمل فى كتاب الهداية وسنة رسول الله، وقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، : «إنى قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما؛ كتاب الله وسنتى»، انسينا قول الله تعالى فى سورة الحشر آية ٧ **{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}. أنسينا قول الله تعالى فى سورة النجم آية ٢-٤ {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْى يُوحَى}**.

إن باب الأمل فى الصالحات من الأعمال، فهوالملاذ الآمن لنا من التخبط الذى يدور حولنا واقرأ قول الله تعالى فى سورة النور آية ٥٥ **{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ}**..

إن الصورة التى نراها، هى صورة تصبح الحناجر أقوى فيها من الأفعال، حين تغيب الكلمات فى منقوع الخمر، وحين تموت الحماسة داخل القضايا فتنحرف الكلمات فى زفة عرس كاذبة، فى عرس تعدى عليها الكثير، منها من خدش حياءها، ومنها من تحرش بها، ومنها من تجرأ على عرضها، فنزفت قطرات الشرف على سيقان العرى، فتحولت القضية إلى رغبة فى غيبوبة والانتقال إلى غرفة الإفاقة.

فماذا يجرى من أخلاقيات البشر، لماذا تغيرت دوافعهم، وأصبح كل فرد يجرى وراء رغباته ونزواته، دون أن ينظر إلى غيره، لقد أصبحت معالجة الأمور حين تعرض تأخذ منحى العرض الرخيص فى عمقه، والبرق فى أبواق الألوان بالرقص والموسيقى، إنها أبواق الشيطان التى تزين لنا الكثير إلا من رحم **{أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِى مَن يَشَاءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ سورة فاطر}**. (٨) –

إن خروج الحياء فى التعامل، أصبح مبدءا، وأصبحت الحقائق تتذبذب فى عيون الكثيرين وخصوصا فى عيون الشباب، وأصبحت المواقف تتبدل حسب المنافع والأغراض والمصالح، إن معالجة كثير الموضوعات بين البشر بدت تنحرف فى دفتر المجاملات، تاركة كلمة الحق غارقة، وصارت جمرا فى حلوق الصادقين، واستشرى الكذب، وصار الجميع يئن تحت أسواط جلادى المادة، حتى يموت من يموت فى صحراء الجوع والعطش. إننا فى عصر إفلاس كبير، عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا : الْمُفلِسُ فِينَا مَن لاَ درْهَمَ لَهُ وَلا مَتَاعَ، فَقَالَ: «**إِنَّ الْمُفْلِسَ منْ أُمَّتِى يَأتِى يَوْمَ القِيَامَة بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاة وَيَأتى قَد شَتَمَ هَذَا وَقَذَف هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دمَ هَذَا وضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنيَت حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِى النَّارِ**».

لقد أصبحنا فى زنازين الحياة المفتوحة، وضعنا أنفسنا فيها، وانمحت من عقول الكثيرين التقوى والعقيدة الصادقة، وأصبحت السيارات الفارهة على شواطئ الفكر الضائعة والتى تفرغ منهجيا عقولنا، حتى نصبح قطيعا لا يعى ما يقوم به، واعتمد القطيع على ملء الجوف، وملء الرغبات وضاعت عقيدة الرزق من العقول، فتطاولت الجوارح على بعضها البعض، فأين الباقيات الصالحات فى قوله تعالى (**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً**) الكهف – ٤٦، وفى قوله تعالى (**وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا**) مريم– ٧٦، فأين أعمال الخير منا وبيننا؟

إن ما نراه فى الإفلاس كمن ظهرت فى ثياب عرس بمنقوع مكون من قطرات الشرف يتسرب على سيقانها ومنها على أطراف ثوب العرس. فمن انتهك هذا العرض، هل نحن ساعدنا فى ذلك؟ أم هى ذاتها، أفقدت علمها؟ فضاعت هيبتها، فما عاد يهمها إلا أن تعيش، تقربت منها وسألتها: أين علمك المنشود؟ لتعود لنا الهيبة؟

فقلت يا عروس المجد هل علمك زال

فقالت يا سيدى الدنيا بدت بكأس ومال

فقلت احذرى تقلبا من حال إلى حال

فقالت وما يضيرنى إن لم تغير حالا بحال

فقلت من غيرك فى وصلة وارض الرحال

قالت ألا تدرى أن الإيمان قرب إلى زوال

قلت لها استعصمى وصبرا لا تهده الجبال

فقالت بحور الدماء كم تعطشت بكم الوصال

فقلت يا امرأة تعلمنا منك كيف يكون الرجال

فقالت يا سيدى عِوَّضَا لا نرى فيهم من وصال

فقلت هى العقول حين تغرب فى أرض الوحال

فقالت لا تلم أحدا فالهَمُّ زاد عن حده قمم الجبال

فقلت إن الهداية سيدتى تحتاج ساحة من نضال

فإن ضاع السلاح من أيدينا خسرنا صهوة قتال

عـاودت مـع نفسـى الخاطـر، وأخـذت نفسـى فـى زورق الجلاديـن، محاصـرا فـى أمـواج الكـذب والريـاء، واختفـت النجـوم الحقيقيـة لتظهـر نجـوم أخـرى، ترتـدى لبـاس الخلاعـة، وكلمـات شـكر ضالـة، لا تحمـل فـى طياتهـا غـير أوراق الكـذب الخاليـة مـن عفـة اللسـان حـين تنطـق، فمـن يوقـظ العقـل مـن غيابـات جـب بدلـو يحملـه الشـيطان فيسـقى منـه كل مختـال غرتـه الحيـاة الدنيـا، ويتصـارع كثـيرون مـن البشـر إلى بئـر الضـلال، تاركـين مبـادئ الفضيلـة علـى حافـة البئـر فتسـقط فـى قـاع البئـر، إنهـا غفلـة البشـر فـى زمانهـم، إنـه لهـو القلـوب الغافلـة {**اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ**}. (١) الأنبيـاء.

إن انتقـاء اللفظـة مـن بـين أدب الخلـق، فكيـف ضاعـت الكلمـة، وتاهـت فـى أدراج شـواذ اللغـة مـن ناطقـى العربيـة؟ لقـد تخلـى الكثـير عـن فهـم ومضمـون الكلمـة فصـارت تنحـرف فـى طريقهـا لتصـوب إلى صـدور الآخريـن، فعبثـت أيمـا عبـث، واخترقـت القلـوب أيمـا اخـتراق، فتحطمـت الأوردة ونزفـت بمـا هـو يضلـل

الكثيرين، إنها الكلمة التى إذا انطلقت أصابت، وإن خابت عابت.

وإن المتابع حول أمر اللفظ عليه أن يتابع رسول الله عليه الصلاة والسلام فى استخدامه الكلمات، كثير منا يستخدم المطر فى حديثه، ولكن الكلمة حين نعبر بها من الضرورى أن تكون لدينا دليلا على ما هو القصد من الاستخدام، فالمطر كما هو ذكر فى القرآن يستخدم فى العذاب كما يقول الله سبحانه وتعالى : **{وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ}. (الأعراف:٨٤)**، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استخدم لفظة كمثل الغيث، فالغيث به صفات الصفاء والنقاوة، وفيه معنى الغوث والغَوْثُ يعنى الإعانةُ والنصرة، ويغيث القلوب.

إن ما يجرى حولى يمكن قراءة سطوره فى حديث رسول الله حين تحدث عليه الصلاة والسلام قَالَ: «**مَثَلُ مَا بَعَثَنِى اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِى قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِى دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِى اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِى أُرْسِلْتُ بِهِ**».

ولنغص فى بوابات الأمل لنرى كيف نَعْبرُ ما نحن فيه، فالحديث يتحدث عن طرق الهداية واتباع الطريق السليم حتى لا نضل، إن الفئات ثلاثة هم: أهل الفهم « نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير». إن أهل الفهم هم من حفظوا النصوص واخرجوا كنوز العلم، وشقوا أنهار العلم وزادت روافده، وغرسوا أشجار المعرفة فى الأرض واخرجوا ثمار العلم ودرره، إنهم الصالحون من أهل العلم.

وهناك طائفة أخرى هى الأجادب، وأجدب المكان هو محل، انقطع عنه المطر فيبست أرضه، هذه الطائفة يطلق عليها الغدير، و الغَدِيرُ مياه راكدة، قليلة العمق، يغادرها السَّيلُ، مستنقع الماء، فهذه الفئة وهذه طائفة حفظت العلم، ولكنها ما تفقهت ولكنها أمسكت النصوص للأمة، كما يقول ابن حجر و القرطبى.

وهناك فئة ثالثة أخرى إنما هى قيعان، لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، هؤلاء لا حفظوا ولا تفقهوا، ولا تعلموا ولا علموا ولا تبصروا –نسأل الله العافية

والسلامة- فقال عليه الصلاة والسلام حاكماً على الطوائف الثلاث: «فذلك مثل من نفعه الله بما أرسلنى به فَعِلم وعَلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم ينفعه ما بعثنى الله به «. صدق صلى الله عليه وسلم.

هنا توقفت وتفهمت أن الطريق واضح بين لا يقبل شكا، ولا يحتاج إلى مناهدة، انه الطريق إلى الله بوابة النجاة، تذكر قول الله تعالى عز وجل يقول فى قوله (وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ). إن الطرق أمامك فاختر ما شئت قال سبحانه وتعالى : **{ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ}**. (آل عمران: ١٥٢) وتذكر قول صلى الله عليه وسلم : «**من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين**».

{رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ}. آل عمران ٨. اللهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ إِيمَانًا لَا يَرْتَدُّ، وَنَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَمُرَافَقَةَ النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِى أَعْلَى غُرَفِ الْجَنَّةِ، جَنَّةِ الْخُلْد.

المقال السابع
يا لها من لحظة

جال الخاطر فى غمضة عين ما ندرى، أهذا الرمش ينشق أم للغد منغلق؟ يفوق العين كل تصورٍ وما فى القلبِ كاد ينشغلُ، فيا نفس هل تعلمين؟ حين تغمضين فى ليلةٍ ماذا بعد هذا لكِ من أمر يستترُ؟ فحدثينى عن النفس إن غادرت ملاءة الدنيا، فمن من عورات الدنيا ستره لنا سترا، نحمل حقائب لا ترى بالعين لناظر تسفر العين فيه سفرا، إن أى إنسان مهما كانت قدرته على التخيل لن يستطيع أن يصف هذه الرحلة رحلة الصعود إلى عالم غير العالم، إنها لحظات رهيبة، نحن نعيش فى عالمين: عالم الشهادة وعالم غيب، فعالم الشهادة هو الحياة الدنيا التى نعيشها الآن بكل ما فيها، إنها الحياة المنظورة بعيوننا، نلمسها بحواسنا ندرك فيها بقدر ما ندرك وليس بما يجب أن ندرك، ورغم أن الحياة التى نعيشها قد تبدو مرناة لنا إلا أن هناك ما هو مخفى، وأما حياة الغيب فحياتان: حياة البرزخ وحياة الآخرة، وما بين عالم الغيب وعالم والشهادة، نحن نتحرك على الأرض، فماذا فعلنا فى تحضير حقيبة السفر الأبدى، سفر بلا عودة، وداع بلا توقيت وغيب بميقات.

نتحرك فى الدنيا جسدا، والروح تتبع الجسد، وفى البرزخ الروح يتبعها الجسد، لذلك ينتهى الجسد فى حياة البرزخ وتبقى الروح .

إن الحياة الآخرة هى ما بعد البعث، فنحن أمام ثلاث مناطق: المنطقة الأولى منطقة الدنيا الذى نعيش فيها، ومنطقة البرزخ وهى منطقة الانتظار، ومرحلة الخلود هى مرحلة الحياة الآخرة حياة كاملة فيها الروح والجسد، **{وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}**. [العنكبوت: ٦٤]، فهى الحيوان، أى: هى الحياة الكاملة التى لا موت فيها.

سوف ننتقل من هذه اللوحة الكبيرة التي عشنا في داخلها إلى محطة الانتظار ليوم البعث، إنها الحياة البرزخية، والبرزخ هو الحاجز بين الشيئين بحيث يمنع من اختلاطهما يقول - سبحانه {وَهُوَ الَّذِى مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا}. [الفرقان: ٥٣]، جعل بينهما حاجزا.

ويقول - سبحانه : {مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ}. [الرحمن: ١٩-٢٠].

سوف ننتظر في حاجز للانتظار، إنها حياة طويلة بين الدنيا والآخرة، فنحن نسقط ونولد على الأرض وننتقل إلى حياة أخرى بعد الموت إنها حياة برزخية، فهل نتخيل حياة القبور التي نودع كل يوم واحدا منا، إنها حياة أخرى لها، حياة البرزخ ساحة انتظار بين الدنيا والآخرة بعلم له قياسات لا تحكمه قوانين الزمان أو قوانين المكان أو قانون المادة، عالم نجهل أسراره ويقول - سبحانه - في أصل البرزخ: {حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّى أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}. [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

حين يُطرق علينا الباب نسأل من بالباب؟ وقد نسمح له بالدخول أو لا نسمح له بالدخول، ولكن فكر حين يدخل عليك ملك الموت لا حاجز فكل الحواجز ملغاة، نعم، كل الحواجز ملغاة، فالأجل لا يمنعه أحد، فإذا جاء، لا مال يحجب عنا الأجل، ولا جند ولا حشمة ولا سلطان يمنع القادم، فالحواجز ملغاة بأمر الله.

إن الإنسان محفوظ في حياته بأمر الله، فتتركه الملائكة الحفظة عند موته بعد أن ترافقه في حياته، فمن هم الملائكة الحفظة، إنهم الضيوف يلازموننا حتى نترك الدنيا وتخلى بيننا وبين ملك الموت لتقبض الروح، {لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ}. [الرعد: ١١]، أي: يحفظونه بأمر الله فتتركه معقباته أيضا بأمر الله، وتخلى بينه وبين ملك الموت ليقبض روحه؛ قال - سبحانه - {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ}. [الأنعام: ٦١].

سبحان الله، إن الملائكة التى ترافقنا طيلة حياتنا، أين تذهب بعدما نغادر الدنيا، إن الملائكة التى كانت تحفظنا من كل شيء فى الدنيا بأمر من الله تنادى ربنا فتقول يا ربنا اسمح لنا أن نصعد إلى السموات العلا، فنعبدك، انظر إلى أى مدى الرحمة انظر إلى الحنو العظيم من الله علينا، يقول الله للملائكة إن سماواتى مليئة بالملائكة ولكن اجلسوا على قبر عبدى فسبحونى واذكرونى واكتبوا ذلك فى صحيفة عبدى إلى يوم القيامة، يا الله، يا هذه الرحمة الملائكة الحفظة يسبحون الله ويكتبون ذلك فى صحائفنا، رحمتك الواسعة يا الله.

إن الإنسان لينظر فى الرحمة التى أحاطت به من ربه، ونسى نفسه (خَلَقَ الإنسان **{مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ}**. (٤) سورة النحل، فرحمة الله تصاحبنا فى الدنيا حتى نصل إلى قبورنا، بماذا قابلنا رحمة الله من أفعالنا؟

إن المشهد عظيم حين يحضر ملك الموت ويخلى الملائكة المصاحبين للإنسان، قال ابن عباس –رضى الله عنهما–: «لملك الموت أعوان من الملائكة يُخرجون الروح من الجسد، فيقبضها ملك الموت إذا انتهت إلى الحلقوم، قال – تعالى–: **{قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ}**. [السجدة: ١١].

إن جلسة المغادرة شاقة، قال – تعالى–: **{فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ * وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ}**. [الواقعة: ٨٣–٨٥]. نحن أقرب إليه منكم بملائكتنا من أعوان ملك الموت ولكن لا تبصرونهم، إن الروح إذا بلغت الحلقوم تستعد لمغادرة الجسد، إنها صافرة الرحيل، ورغم انه قد يحيط بالمحتضر بعض من الناس، لا يرون ما يحدث، وتقبض الروح من الأسفل؛ فالروح الآن قد بلغت الحلقوم؛ استعدادا لمغادرة الجسد، وقد يكون الناس جلوسا حول المحتضر ولا يرون شيئا وتخرج الروح من الأسفل من أصابع الرجلين إلى الأعلى، فإذا وصلت الروح الحلقوم غرغر المحتضر، وشخص بصره واتجه إلى فوق.

إن لحظة مغادرة الروح من الجسد تبدأ لندخل إلى الحياة البرزخية، ويختلف خروج الروح سهلا أو صعبا حسب عمل الإنسان، فروح الرجل الصالح كما قال رسول الله علية الصلاة والسلام: «فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فِى السِّقَاءِ»، أى من فم الوعاء، أما الرجل الفاجر فقال عن خروج روحه: «فتفرق

فى جسده فينتزعها كما ينتزع السّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، والسفود: عود من حديد ذو شعب معقفة يُشوى فيه اللحم، وفى ذلك إشارة لمشقة خروج روحه.

وقد جاء فى القرآن بوضوح قوله -تعالى-: **{وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ}**. [الأنعام: ٩٣].

والملائكة باسطو أيديهم، قال ابن كثير: «أى: بالضرب لهم حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم».

إن هناك الكثير يحدث لنا قبل أن نقبر، حتى نغادر الدنيا وننتقل إلى عالم البرزخ، والموقف أصعب مما نتخيل، وأسهل إذا ما قدمنا خيرا فى دنيانا ونتبع المنهج، ونعدل مع أنفسنا ومع غيرنا.

المقال الثامن
المشهد المبكى

سارعت يدى فجر اليوم قبل الذهاب إلى الصلاة لأتناول كتاب الله وأقرأ فيه كالعادة التى أدعو الله تنقطع عن بشر، إنها عادة حميدة، إنها النور والطاقة التى نحملها كل يوم، وكنت أقرأ فى سورة الحديد قول الله تعالى : **{مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ }٢٣.**

فقلت فى نفسى: لم نحن البشر نتأسى على ماض كتب علينا كل أمر فيه؟ إن تاريخنا ليس من صنع أيدينا فنحن فقط نرتب أوراق الكتاب ورقة بعد ورقة، إنها فى كتاب الله من قبل أن نخلق فعلام كل هذا الصراع؟ صراع النفس بالنفس، وصراع النفس مع النفس. إنه مشهد عظيم، تأمل ما فى الآية **{ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها}**، والمُصيبَةُ هى كلُّ مَكْروهٍ يَحُلُّ بالإنسان، فما يحل بنا وما سيحل بنا فى كتاب قبل أن نولد، فلنأخذ على أنفسنا إرادة التسليم، إرادة القناعة بما نحن فيه، إن ما نصاب به من مكروه، إنما هو بذنب وما يعفو الله عنه أكثر، سبحانك ربى تعلم ما فى أنفسنا وما يوسوس فى الصدور، وهذه الآية تقول لنا معنى مهما وهو أن ما يحدث لنا مسجل فى كتاب، وأن ما نصاب به إنما من جمع الذنوب، وأنه لا تيأس ولا تفرح وامش على الأرض بالهوينى، فلن تبلغ الأرض ولا السماء، فقيم نفسك، وما أشك لحظة أن الإنسان إذا كان اليقين به صادقا لن يضل الطريق، نعم إن الكثير منا يقول كلاما رائعا، ويقول أحاديث الله وكلنا نتكلم بقال الله وقال الرسول، وهذا لا يكفى، لأن العقيدة الراسخة هى الإيمان بالعودة الأبدية إلى الله سبحانه تعالى، إنها عودة المشهد المبكى.

فى نفس اللحظة ما كان أمامى سوى دقائق حتى أستقل سيارتى وأتوجه إلى مكتبى والذى يبعد دقائق بالسيارة حيث من المعتاد أن أكون به، لأبدأ بعد صلاة الفجر بقليل، وابدأ بفتح الكمبيوتر، واستمع أولا إلى كلام الله، كم يطبب النفس، وما أجمل أن تبدأ كل أعمالك ببسم الله الرحمن الرحيم، نعم إنه المشهد المبكى فى سورة ق للآيات من ١٦ حتى رقم ٣٥ **{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ١٦ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (٢٠) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١) لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢٢) وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَى عَتِيدٌ(٢٣) أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (٢٤) مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ (٢٥) الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (٢٦) قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (٢٧) قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَى وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ (٢٨) مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَى وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (٢٩) يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ (٣٠) وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ (٣٣) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤) لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ}** ٣٥.

هذا المشهد المبكى لقد خلقنا، كما فى الآية ذكورا وإناثا، ويعلم الله ما بنا وما فى نفوسنا، ما يسرنا ما يحزنا، ما فى صدورنا، إنه أقرب إلية من حبل الوريد، فأنت ترانا يا ربى، فلنستح مما نفعل. إنه مشهد مبكى، إننا حين نخطيء نخطى فى غطاء وستر، ألا نعلم أن الله شاهد على ما نقوم، أن الملائكة تكتب ما نقوم به، فلنحذر من فعل أو قول أو عمل، إن المتلقين (هم ملك اليمين وملك الشمال) عن اليمين والشمال يكتبان ما نفعل من أعمال، فهل ندرك ذلك، إن عدم الإدراك هو ضعف العقيدة، فعش لحظة الرقيب، الملازم عن يسارك ويمينك، تخيل أن يجيء الموت لا مرد له فحين تأتى لا مرد لها ولا مناص، إنها تأتى إلينا لامفر، الله ربى، ينفخ فى الصور هذا يوم الوعيد، يوم تجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون، يوم يلحق الظالمين ما أوعدهم الله به من العقاب والمؤمنين ما وعدهم به من الثواب.

إن المشهد المبكى حين نساق إلى موقف القيامة ويشهد علينا (إن المرافق معنا سائق يسوقنا وشهيد) فهل نستحضر الموقف؟ إن استحضار هذا الموقف، والله، يبكى من عرف الله، من خشيته بالغيب، اللهم ابعد عنا الغفلة، **{ اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون}**. سورة الأنبياء)، انظر إلى الآية ٢٢ من سورة ق والتى نرى فيها المشهد المبكى **{لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ}**، نعم غفلة، نعم غفلة، وانظر هذا اليوم، انه يوم لا يمكن تخيله على الأطلاق فاللهم خفف عنا، اللهم خفف عنا، إنه يوم لا يمكن أن يتدارك فيه الفارط ولا يستدرك الفائت، إنه المشهد المبكى.

فى هذه اللحظة يأتى الملائكة القرينة بنا والذى وكلهم الله على حفظ أعمالنا، فيقومون بإحضارنا يوم القيامة ومعهم الأعمال التى قاموا بحفظها، يا الله (سائق يسوقنا، وقرين شاهد علينا يا الله) وصف شديد، شديد، مبكى حقا.

هنا يبقى فى النار، أعاذنا الله من كل كفار عنيد، العنيد بآيات الله، المكثر من المعاصى، المجترئ على محارم الله والمآثم، انه موقف مبكى، لمن الملك اليوم؟ إن المتعدين على عباد الله من ظلم سيجرون مع سائق وشهيد، إن من يشك فى ذلك أى مريب فى وعد الله ووعيده فلا إيمان ولا إحسان، إنها صورة مرعبة، مبكية.

فأنت يا من أنكرت الموعد واللقاء، اليوم لا تملك لنفسك نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، ايها الملكان (القرينان) ألقياه فى العذاب الشديد.

هنا يتنكر أيضا الشيطان حين يقول ربنا ما أطغيته، أى لم يكن لدى سلطان ولا حجة ولا برهان ولكن كان فى الضلال البعيد، فهو الذى ضل وأبعد عن الحق باختياره، نعم يتبرأ منا الشيطان **{وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ۖ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}** (٢٢) سورة إبراهيم.

إن لحظة المخاصمة **{قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ}**.(ق : ٢٨)، **يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم}**،(الشعراء : ٨٨-٨٩). فلقد

جاءت الرسل بالوعيد أى بالبينات والحجج والبراهين، الواضحة، فقامت حجة الله وانقطعت حجتنا، فحق علينا الجزاء، إنه المشهد المبكى.

لحظة الحق، لايمكن أن يخلف ما قاله الله وأخبر به **{مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَى}، وأننا سوف نجازى بما عملنا {وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ}**.(ق : ٢٩). إنها لحظة الجزاء، لحظة المكافئة فى الأعمال وبين الأعمال، فلا يزاد فى السيئات ولا ينقص من الحسنات سبحانك ربى، لحظة الارتماء، إنها لحظة الارتماء فى جهنم لمن خالف من المجرمين العاصين، وتقول جهنم من غيظها هل من مزيد، انه وعد الله كما قال: **{لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ}. (السجدة:١٣)** حتى يضع رب العزة عليها قدمه الكريمة المنزهة عن التشبيه، فينزوى بعضها على بعض، وتقول : قط قط، قد اكتفيت وامتلأت. أى موقف هذا، إنه موقف يصعب وصفه، لحظة الاقتراب، إن لحظة ما تشاهد وينظر ما النعيم المقيم بالجنة والحبرة والسرور. إنها الجنة لأجل المتقين لربهم التاركين للشرك صغيره وكبيره المتمثلين لأوامر ربهم **{وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ}**.(ق : ٣١)، لحظة التهنئة، هى لحظة يتم التهنئة للمتقين**{هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ }**.(ق:٣٢). إنها التهنئة بدخول الجنة وما فيها، مما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، هى التى وعد الله كل أواب أى: رجوع إلى الله، فى جميع الأوقات، بذكره وحبه، والاستعانة به، ودعائه، وخوفه، ورجائه.

لحظة أسباب النجاح، إن أسباب النجاح فى الآخرة **{مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بالغيب}**. (ق:٣٣)، أى خافه على وجه المعرفة بربه، والرجاء لرحمته ولازم على خشية الله فى حال غيبه أى مغيبه عن أعين الناس، وهذه هى الخشية الحقيقية، وأما خشيته فى حال نظر الناس وحضورهم، فقد تكون رياء وسمعة، فلا تدل على الخشية، وإنما الخشية النافعة، خشية الله فى الغيب والشهادة ومن أسباب النجاح أيضا **{وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ}**.(ق:٣٣) وصفه الإنابة إلى مولاه، وانجذاب دواعيه إلى مراضيه.

بوابة الخلود **{ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ}**.(ق :٣٤).ادخلوا الجنة دخولا مقرونا بالسلامة من الآفات والشرور، مأمونا فيه جميع المكاره، ذلك هو يوم الخلود بلا انقطاع.

يوم النعيم (لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ) لهؤلاء المؤمنين فى الجنة ما يريدون، ولدينا على ما أعطيناهم زيادة نعيم، أعظمه النظر إلى وجه الله الكريم.

إن حياة الإنسان بدت مريحة حين خلق، وبدت تنحى منحى آخر حين خالف، فإن المخالفة تبعد الأقدام عن الطريق، وبدا أمامه طريق الغواية، وطريق الغواية مسبق على الإنسان حين توعد شيطانه، لأغوينهم أجمعين، فتناوب صراعا مع الشيطان وما زال، وان المشهد المبكى نراه فى يوم الحق، انه يوم نساق مع سائق وشهيد، نساق إلى الحساب، وشاهد علينا المرافقون من اليمين واليسار، إنهما القرينان، إن المشهد المبكى فيه لحظات بمسميات، فهناك لحظة الإنكار من الشيطان، وهى لحظة مخاصمة بين الاثنين، الإنسان وقرينه وشيطانه، ولحظة المخاصمة أو المحاكمة هى لحظة تداول قضيتك أمام الله بالأدلة القاطعة التى ما بها من زور كما فى قضايا الإنسان فى أروقة محاكم الأرض، إنها لحظة الحق، وهى لحظتان: لحظة الارتماء ولحظة الاقتراب، ارتماء فى العذاب، ولحظة الاقتراب من الجنة وتقديم التهنئة، وان من يفطن للأسباب يدرك كيف يبعد عنه العقاب، إن أسباب النجاح والتهنئة هى يقين الإنسان بلقاء الله وخشية اللقاء، فإن من تيقن اللقاء خشى من الأفعال فى غياب، إن الخشية هى بوابة الخلود للنعيم المقيم.

المقال التاسع
مسافة اقتراب

حين يحتاج الحب مسافة اقتراب:

على شاطئ النفس، حيث أخلو ناظرا إلى السماء الصافية، نظرت من على ضفاف النيل استعيد ذكرى مرت فى عام، سألت نفسى عن أشياء وأسماء ومصطلحات، وتمنيت ولو للحظة أن أوقف العداد الفكرى، حين تتداول أسهم الفكر تارة تصعد وتارة تهبط وكأننا فى بورصة الفكر العقلى حيث تتنافس الصفات والسلوكيات، وكل يوم أرى عندى ترتيبا لسوق الذاكرة المعنوية، وهكذا حال من يفكر، أسهمه كل يوم تتبدل، أسهم فكره فى التداول فى بورصة العواطف الفكرية، لا ثبات فكيف تتذبذب هذه العواطف، ما بين البغض والحقد والتعصب والغضب والقطيعة، وكلها مظاهر غير حيادية وغير عقلانية وتحتاج إلى الثبات، فمن يصنع بداخلنا الثبات والثقة؟ إن الاتزان العاطفى لا يحتاج إلى مصداقية لسان، ولكن مصداقية أفعال تؤكد القول مع الفعل، وان فرط الاتزان العاطفى يولد تحركا فى بورصة العاطفة، و فى توقعات قد تقلل من سهم العلاقات، ويشترك كل من الأطراف المرتبطة عاطفيا فى تأرجح هذا السهم، إن الحب الزائد فى وجهة نظرى يستحقه من يقدره، وصدمة لنا إن لم يقدر، وهنا تتوقف ردود الأفعال على طبيعة الفاعل والمفعول، والعقلانية دوما تتنازع مع العواطف فأيهما يثبت؟ وإن النمو العاطفى لا يتوقف على جنس منجذب لجنس، ولكن هناك علاقة الأبوين والأصدقاء والأساتذة بالمدارس والجامعات، فنحن جزء ينتمى إلى مجتمع الكل، والروابط فيما بيننا هى روابط تتوقف متانتها على طريقة تكوين العلاقة والفكر المدعوم بالعقلانية ومنشأ ومناخ الشخص القادم منه، ومسافة الاتزان هى مسافة لا يصل إليها الكثير، فالحب لا يقاس بمسافة، فمسافة الحب أقرب من الفيمتو ثانية، وإن الوله والشغف فيه

قد يقود إلى انحراف الوسطية، إن العشق فى القلوب ترعد أوتاره فيخفق مع دقات القلب، فأى نوع من الوله والعشق يصل بنا؟ سمعنا الكثير عن الوله فى ميزان يفوق مثقال ميزان القلب فيتضخم بأوجاعه، فأى نوع من الحب هذا؟ أى نوع من الحب هذا من بشر لبشر إلى بشر؟ وكم منا يعيش هذه اللحظات؟ ربما كثيرون، ولكن ما فكرنا فى العشق والحب الإلهى.

إن المسافة فى العواطف قد لا ترتبط ببداية أو نهاية، ولكن حين يتدخل العقل المضلل فى نقاط الاتزان نرى أن خط النبضات فى سوق القلوب قد يصاب بتناقضات وربما يتغير، وتظهر ملامح التوسل والرجاء فتتحول النفوس للتطرف وتظهر لوحة البغض والصمم والعمى المغيب، فلا البغض أبعد حبا، ولا الحب خلا منه قلب يسكن، فالكل يحتاج مسافة اقتراب، وثبات موقف، وقلب خال من زيغ الهوى، حتى يستقيم النبض.

هل رأيت المحب حين تلمع عيناه ويسر قلبه، هل رأيت المحب حين يستعذب طعم الحياة، هل رأيت محبا استشعر السكينة والطمأنينة من محبوبه، كيف وجدت صدق الحب بين البشر، هل استطعت أن تتفهم مشاعر الحب الصادقة وحاولت قياسها بمقياسك العقلى، كم يتمنى المحبوب أن يسعد حبيبه؟ كلها أسئلة تدور فى الوله القلبى والعقلى فسألت نفسى: هل جربنا حب الله، لا يبعدنا عن الله مسافة؟ هل تجولت بخاطرك على النعم التى منحت من الله لنا؟ إن الإنسان إذا ما أعطاه شخص ما هدية، يحتفظ بها ويسعد، فما بالنا بالمولى حين أعطانا دون حساب، فرط الرحمة والحب من الله إلى عباده، ونحن البشر لدينا الوله فى حب الآخرين، فكيف نعبر عن الحب لله، الحب لله يعنى أشياء كثيرة، فالحب مربوط بالإيمان، إنه سلوك عظيم راق لا يرتقى له إلا المخلصون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه». وهنا تبرز القيمة الحقيقية للحب فى مقامات الإيمان حينما ربط الإيمان بحبك لأخيك «ما تحب لنفسك» فإن كنا نحب المال والبنين والراحة والصحة والأمان فالإيمان الحقيقى يحتم علينا أن نحب كل ذلك لإخواننا، محبة فى الله.

هل حاولت أن تجرب الحب مع الله؟ هل حادثت نفسك بذلك؟ هل اشتقت للقائه؟ وهل استحيت منه عند اللقاء؟ إن أجمل المذاق والطيب محبة الله الذى منحك الكثير من النعم **{ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم } – سورة النحل آية ١٦.**

هل نظرت حولك فى النعم، هل رأيت العطاء الممنوح لك، ومع ذلك فنحن مقصرون فى شكر النعم، ورغم هذا كله يغفر الله ذلك التقصير فى شكر النعم، واقرأ الآية **{وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الإنسان لَظَلُومٌ كَفَّارٌ} (٣٤) – سورة إبراهيم.**

إن الحب هو العطاء الممنوح دون شروط دون انتظار مقابل، عطاء من غير سؤال، ولا انتظار فى شكر، ولا انتظار فى مقابل وإن قصر الغير فالعطاء مستمر، فأى نوع من الحب هذا، حين تقابل بصد وتغيير وجه، ومازال العطاء مستمرا، إن الكثير لا يستوعب مفهوم حب الاحتواء لا حب الإجزاء، فالحب عطاء دون مقابل، وحب الله لا حدود له.

ورغم أن الإنسان يمنحه الله الكثير من النعم التى لا تحصى، فمازال يفر من الله وينسى نعم الله، والله سبحانه يعطى الجميع **{كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا} (٢٠) سورة الإسراء.** إن محبة الله هى المنزلة التى يتنافس فيها المتنافسون، سألت نفسى كيف أحب الله، فلنتجول فى آيات الله ونرى **{قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم } آل عمران آية ٣١**، فمن الآية نرى أن بداية الحب لله فى اتباع هدى النبى عليه الصلاة والسلام، ونرى فى الحديث القدسى: «وما زال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبَّه»، ومن هذه النوافل، نوافل الصلاة، والصدقات، والعمرة، والحج، والصيام، فإذا أحبك الله فلا تسل عن خير سيصيبك وفضل سينالك، ويكفى أن تعلم بأنك حبيب الله، «إذا أحبَّ الله العبد نادى جبريل إن الله يحب فلاناً فأحببه فيحبه جبريل فينادى جبريل فى أهل السماء إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى الأرض»، عطاء ربك سبحانه لا حدود له وغير مقطوع **{عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ}. (هود: ١٠٨)**، ومعنى مجذوذ اسم المفعول من جَذَّ أى مقطوع.

أبعد كل هذا ألا نفكر فى حبنا لله؟! فهل سألت نفسك حين تغالبك الأحزان، وتكثر عليك الهموم: هل استمعت يوما من داخلك صوتا يناديك، هل جربت ذلك؟ هل عشت لحظة ضاقت عليك الدنيا بما رحبت؟ إن السكينة فى حب الله، واطمئنان القلوب ليست إلا به، ألا بذكر الله تطمئن القلوب، ففى القلب شعث لا يلمه إلا الله، إن الحياة كم بها من هموم وغموم وآلام وحسرات، فمن يجيب المضطر إذا دعاه؟ **{أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ} النمل ٦٢. وهذا الحزن الذى يعشش فى القلوب من يزيله؟ {فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ} (٥٠) – الذاريات.**

إن الإنسان بطبعه يمل ويحتاج إلى التغيير المستمر، ولكن التغيير الذى نطمح إليه لن يأتى إلا من داخلنا **{ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}** (الرعد: ١١)، فحين ترى نفسك فى بحور الأحزان وتغالبك هموم الحياة القاتلة تعصف بزورقك المتواضع فى هذا الكون، وحين تشعر بذرف الدمع يتساقط مع أنين ودقات قلب، فقل يا فارج الهم، تسكن جوارحك ويهدأ همك، فيتحول الجزع إلى تسليم، والسخط إلى رضا، وإنى أرى أن الصبر فى الحب هو أجر كبير، فكيف أتوقع من عطاء بدون حدود من الله إلينا، ألا نصبر قليلا حتى نرى **{إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ - الزمر:١٠}**، هل تعلم أن الحب الذى نرغبه مهما كانت قدرتنا على العطاء، نحتاج إلى مسحة يد وعرفان جميل وواجب شكر، والسبب أن الإنسان بداخله معركة ما بين السخط والرضا، أما الله سبحانه وتعالى المنزه فى كل شيء يعطى لنا دون أى شيء، فنحن عباد الله، هل استشعرت بالحب، هل رأيت من يدافع عنك، يحبك؟ عطاؤه دوما لا يغلق بغير حساب، انظر لما قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**إِنَّ اللَّهَ قَالَ : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَى عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَى مِمَّا افْتَرَضْتُه عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَى بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ**».

إن الحب المطلق لا ينازعه أى أمر، فجرب كيف تحب الله، فعطاء الله كثير، و يا له من حب وعطاء بلا حدود.

الخاتمة

عندما تغيب الأخلاق

يدق الناقوس فينا، فتسد (بضم التاء) الآذان، وتتحرك الصور أمام أعيننا كأنها معصوبة، ولا ترى إلا من خلف الستار الذى نضعه، فنرى الألوان كما نريد وليس كما يجب أن تكون، فعندما تغيب الأخلاق فى الإنسان، يمتطيه الشيطان يحركه، فلا يسمع ولا يرى لأنه محنك من الشيطان ومزود بالوسوسة الشيطانية داخل الأذن الصماء والعين العمياء والأرجل المكبلة والأيدى دون أن يتحكم فيها قيم الإنسان الموروثة والفطرة، إنه غياب الأخلاق.

إن ما نحمله على أعناقنا هو الأمانة **{إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض... الآية}** والتى حملها الإنسان. إن غياب الفضيلة فى ظل غياب الأخلاق والتعليم والتربية يفرز إنسانا مكبلا بالغرائز تحركه ولا تضبطه، تمرضه وتبليه، تغرقه ولا تشفيه.

إن ضبط الغرائز يعتمد على المفهوم الخلقى والأخلاقى الذى يعتاد النشء عليه منذ صغره فى البيئة التى ينبت فيه، إنه الزرع فى البيئة التى حولنا وكيف نعتنى به، وهو الدور الإعلامى المفتوح على مصراعيه لمن يعلم أو لا يعلم، إنه السمية الأخلاقية بين العيون وفى العيون أو فى اللسان أو فى اليد أو فى الأقدام التى تتحرك فى بقعة عمياء لا ترى نفسها، إنها السمية الأخلاقية، وهناك فرق بين السم فى الوعاء والسمو فى الإناء. إن الأخلاق كغطاء فى زجاجة الماء إذا فقدنا الغطاء منه لن نتحكم فى السائل بداخل قارورة الماء، لقد فقدنا الأغطية فتعرت بداخلنا قيم الأخلاق وتلطخت بالأوساخ.

إن ثقافة المجتمع وبيئته قد لا تعى المفاهيم الحقيقية وأصبح التساهل يحدث أمام الأعين والسمع، ولا ندق ناقوس الخطر الأصم فى الفوضى الأخلاقية التى

لا تفرق ولا تميز بين الأشياء، إنه الفساد الأخلاقى الذى يعزى إلى فقد هوية التعليم والتربية، فلنعد للتعليم مكانته وللتربية دورها.

إن التناقض الذى يحدث فى تغذية البيئة الإنسانية يشبه التغذية الرديئة للإنسان فى معتقداته، ليتغير بداخلنا السمو الأخلاقى ولنا فى رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، أسوة حسنة، **{وانك لعلى خلق عظيم}**. إنها الأخلاق يا سادة حين نفقد هويتها تصاب بالسرطان الأخلاقى الذى يتفشى فى أنسجة البشر ويصبح من السهل تدميره حيث يقل الحياء وتقرب الأخلاق من الاختفاء.

وحين تكون الأخلاق اسما فى كتاب، وحين تكون الأمانة حروفا تلتصق فيما بينها، وتلتصق لتكون كلمة فارغة المعنى والمحتوى، وحينما تكون العلاقات المألوفة للعادات المتكررة لا يصاحبها التفكير والتغيير فتصل إلى مرحلة السكون ولا نتحرك، وأصبحت الأشياء تأخذ الآلية المتكررة فتفقد معها جمال الإحساس، ولا يرانا الآخرون فى وسط هذا كله إلا أننا غرباء وكأننا جئنا من عالم آخر، وكأننا كائنات فضائية تسبح أمام العيون بغير عقل، وعقل بلا عيون، وعيون بلا جفون، فلا الأخلاق بالعين تستتر، ولا الأمانة نراها تستقر، وكأننا نحرث الحرف فى البحر الهائج المضطرب غير المستقر. فقانون الأخلاق والأمانة يتعرضان لأحمال كثيرة، قد لا تصمد السواعد على حملها، أو تقوى الأرجل على سندها، فالأمانة والأخلاق تتعرضان لمقاومة معامل التحمل وحيث أن لكل قوة مقاومة ترتبط بمقدار حمل الأمانة والأخلاق وان كل مقاومة لها حد معين تصل للانهيار أو الانكسار، وهى أشق ما يكون على النفس البشرية، إنه حد انكسار الأخلاق والأمانة وحين نرى الآية الكريمة: «إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وحملها الإنسان انه كان ظلوما جهولا»، يا له من وصف عظيم لقوة التحمل على حمل الأمانة، وعظمها وقدرها، إنها فوق الواقع وفوق المألوف وفوق كل القوانين الطبيعية، وفاز من حملها، وخاب من تهاون فيها، إن خرق العادات من مقاومة ما نحب وتحمل ما نكره لهو أمر شاق لا يفهمه الكثيرون، إنه اختراق الخروج من أسر العادات وكسر حواجز الطاقة لنستطيع أن نحمل بقوى تختلف عن المألوف، لتستطيع تحمل معامل الكسر أو الإجهاد، ومن ثم الانفعال، لنتحمل ما لم

تستطع الأرض بكامل ما عليها من جبال أن تتحمل معامل الكسر فى ثقل الأمانة وعظمها، فهذا يعنى قدرة الإنسان على حملها، ولكن يتعين عليه ألا يجهل كيف يحملها، ولا يظلم نفسه فى الكيفية التى تغير المألوف إلى اختراق العوائد.

إن العقيدة الراسخة والفطرة الطبيعية تؤهل الإنسان للمستحيل، والمستحيل هو الممكن فى غير المألوف، وما يغير هذه المعادلة النعم التى تحيط بنا، والتى يعتقد الإنسان أنها أبدية، ونسينا قول الله تعالى **{ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ}- (سورة التكاثر آية ٨)**، إنها غواية النِعَم وغفلة الشُكر، فإذا زاغت القلوب انكسرت الأمانة، وأصيبت الأخلاق بالاعوجاج.

بعض المراجع التى تم الاستعانة بها من خلال الشبكة العنكبوتية والمراجع المختلفة:

.afaqattaiseer.net/vb/showthread

ar.islamway.net/lessons

download-islamic-pdf-ebooks.com/7062-free-book

fatwa.islamweb.net/fatwa/index.php?page=showfatwa&Option=FatwaId&Id=111492

fatwa.islamweb.net/fatwa

https://www.google.com.sa/search?sourceid

islam.mrkzy.com/fiqh/article-396/islamport.com/d/1/krj/1/51/616.html

islamport.com/d/1/mtn/1/77/2870.html

islamport.com/d/2/ftw/1/15/1278.html

islamqa.info/ar/10323

islamqa.info/ar/111905

islamqa.info/ar/212227

islamqa.info/ar/21271

islamqa.info/ar/cat/246

islamqa.info/ar/cat/503

khilla.com/Details.aspx?id=136

.library.islamweb.net/newlibrary/display_book

mawdoo3.com

quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura67-aya22.htm-lquran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura92-aya19.html

sh.rewayat2.com/ansabe/Web/491/001.htmsh.rewayat2.com/fatawae/Web/27107/047.htm

www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=304016

www.aleman.com

www.almaany.com/ar/dict/ar-ar

\www.alriyadh.com/

www.dorar.net/www.dorar.net/enc/mazahib/993

www.ibnamin.com/daef_bukhari_muslim.htm

www.kalemtayeb.com/index.php/kalem/adeiah/section/17

www.kantakji.com/media/2682/6633.docwww.nabulsi./com/blue/ar

www.nabulsi.com/blue/ar/print.php?art=7540www.qa-?raye.com/articles.php